

التفسير المطول - سورة الأعراف ٠٠٧ - الدرس (٢٨-٦٠): تفسير الآيات ٨٠ - ٨٤ ، البعد عن الله يؤدي إلى الانحراف
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٠٧-١٢-٢٠٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القريات .

مقدمة لتفسير الآية :

أيها الإخوة الكرام مع الدرس الثامن والعشرين من دروس سورة الأعراف ، ومع الآية الثمانين ، وما بعدها ، الله عز وجل يقول :

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

معنى الشفع والوتر :

أولاً من أدق معاني الشفع والوتر ، أن الوتر هو الله ، لأنه واحد أحد فرد صمد :

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ﴾

(سورة الإخلاص)

صمد بمعنى أنه لا يحتاج إلى واحد ، لا يحتاج إلى أي شيء ، بل يحتاجه كل شيء ، واحد لا شريك له ، وأحد لا مثل له .



﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾

(سورة الجن)

شأن الله عز وجل الأحدية ، وشأن الخلق الزوجية .

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

(سورة الذاريات الآية : ٤٩)

مبدأ الافتقار في عالم المخلوقات :

الذرة في النواة ايجابية ، والكهارب سلبية ، وأي شيء يخطر في بالك بدءاً من الجماد وانتهاءً بالإنسان ، زوجان ذكر وأنثى ، أو ايجابي وسليبي ، شأن مخلوقاته أن كل مخلوق مفتقر إلى مخلوق آخر ، فالرجل مفتقر إلى المرأة ، والمرأة إلى الرجل ، والصديق إلى صديقه ، والزميل إلى زميله ، وكل مخلوق يفتقر إلى مخلوق آخر .



الافتقار أنواع ، هناك افتقار جنسي ، فالذكر مفتقر إلى الأنثى ، والأنثى مفتقرة إلى الذكر ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان حاجات ثلاث ، أودع فيه حاجة إلى الطعام والشراب ، وأودع فيه حاجة إلى تحقيقاً لبقاء الفرد ، وأودع فيه حاجة إلى الجنس تحقيقاً لبقاء النوع ، وأودع فيه حاجة إلى تأكيد الذات تحقيقاً لبقاء الذكر ، فالإنسان يبحث عن الطعام

والشراب ، فإذا أكل وشرب بحث عن الطرف الآخر ، فإذا كان مؤمناً تزوج ، وإذا كان غير مؤمن يزني ، فإذا أمن الاثنين بحث عن الرفعة ، والقوة ، والتفوق ، والعلو ، وتأكيد الذات .

افتقار الرجل إلى المرأة و افتقار المرأة إلى الرجل :

لو أخذنا الشهوة الثانية ، الشهوة إلى الآخر ، الله عز وجل رسم منها ، فالأنثى خلقت خصيصى للذكر ، والذكر خلق خصيصى للأنثى ، خصائص الرجل الفكرية والنفسية والاجتماعية والجسمية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، وخصائص الأنثى الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، هما متكاملان ، إذاً : هما شفع .

﴿ وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ ﴾

(سورة الفجر)

لكن هذه العلاقة مع المرأة قد تأخذ شكلاً مشروعا ، هو الزواج ، وقد تأخذ شيئاً غير مشروع ، هو الزنا ، فالزنا خروج عن الشرع ، وقد أودع الله في الإنسان



هذه الحاجة ، فالمؤمن الذي يخاف الله عز وجل ما عنده قناة لإرواء هذه الحاجة إلا الزواج ، وغير المؤمن فعنده قناة أخرى ، هي الزنا .

إن الزنا خروج عن منهج الله ، ومعصية كبيرة ، بل تسمى جريمة الزنا ، وفيها ضياع أنساب ، واختلاط أنساب ، وفيها سقوط المرأة الزانية ، وسقوط الزاني ، والمجتمع ينكر الزنا ، والشرع ينكر الزنا ، وأي شيء أنكره الشرع تنكره الفطر السليمة .

في تاريخ البشرية يقولون : فضيحة أخلاقية ، في الدول الإباحية ، في الدول التي لا تلتزم بأي منهج ، فضيحة جنسية ، أو فضيحة مالية ، وفي تاريخ البشرية الفضائح الكبرى نوعان : فضائح مالية ؛ سرقة ، واختلاس ، ونهب ، وتزوير ، أو فضائح جنسية ، والذي يقع على رأس البيت الأبيض تورط مع موظفة ، فعرضوا في الإنترنت ٢٨٠٠ صفحة تفاصيل هذه العلاقة الآثمة .

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ

١ - الخروج عن منهج الله في الشهوة شذوذ وانحراف :

لكن حينما تسلك هذه الشهوة طريقاً آخر ، غير الطريق الذي رسم لهذه الشهوة فهذا مباح ، والله عزوجل رسم لهذه الشهوة طريق الزواج ، وغير المؤمن خالف المنهج فزنى ، لكن في الأصل المرأة للرجل ، والرجل للمرأة ، أما الشاذ فخالف المنهج والفطرة معاً ، وسلك طريقاً لا يؤدي إلى الولد ، طريق قدر ، فאלله عز وجل سمى هذا الانحراف فاحشة ، أول من أتى بهذه الفاحشة قوم لوط .

فلسفة الشهوة عند الغرب :



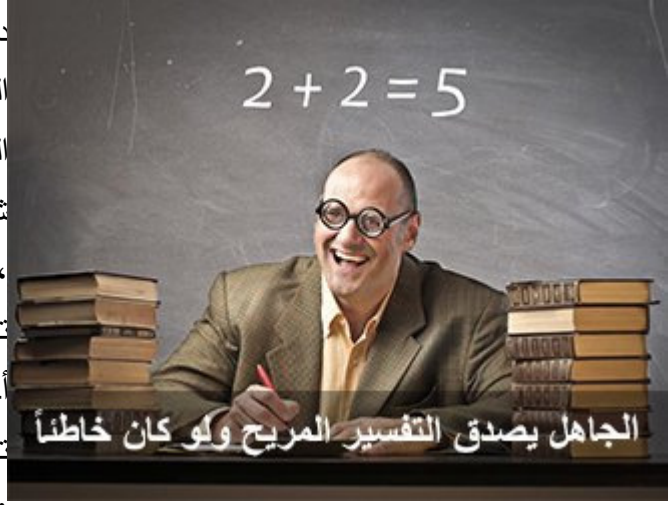
ولكن أيها الإخوة ، أتمنى عليكم أن تنتبهوا إلي ، في العالم الغربي الإنسان يخترع أفكارا كي يرتاح بها المنحرفون ، يقولون : هذا الشاذ في جيناته هذا الشذوذ ، لا ذنب له ، هذا مركز في أصل تكوينه ، وفي أصل خلقه ، والله الذي لا إله إلا هو لو قطعت المؤمن مليار قطعة على أن يصدق أن الله سبحانه وتعالى خلق في الإنسان شذوذاً

، ثم يحاسبه على هذا العمل الشنيع ، ثم يضعه في جهنم ، والله ما من مؤمن مستعد لو قطعتة مليار قطعة أن يصدق ذلك ، لكن هذا منطق الغرب !

نظرية داروين بين الحقيقة العلمية وفلسفة الراحة الوهمية :

أحيانا الإنسان يسمع تفسيراً ، أو طرحاً فيصدق ، لا لأنه صحيح ، بل لأنه مريح ، فنظرية داروين مثلاً لا يمكن أن يصدقها أحد في الأرض ، لأن داروين نفسه قال : " إن لم يثبت العلم هذه النظرية فهي باطلة "

داروين اعتقد أنه الفأرة تأتي من الخرق البالية مع القمح ، وأن الضفدع يأتي من الوحل ، فالوحل يصنع ضفدعا ، هذا شيء مضحك الآن ، العلم لم يكذب هذا ، بل يستهزئ به ، وتوقع أن المخلوقات تطورت من حيوانات أو مخلوقات أحادية الخلية ، حتى الإنسان عنده تطور طبيعي عبر ملايين السنين ، إذاً لا بد من كائن مرحلي وحيد خلية ،



سمكة بعدها زاحف ، بعدها قرد ، بعدها إنسان .

مع التفاصيل :

فتحوا الأحافير فوجدوا صورَ الحيوانات التي طمرت برماد بركاني ، وأصبح هيكلها مطبوعاً على الحجار ، هذه اسمها أحافير ، وجودوا مئات ، بل ألوف المخلوقات قبل ٥٣٠ مليون سنة كما هي الآن ، فالنظرية باطلة كلياً ، مَنْ أبطلها ؟ علماء الغرب ، ومع ذلك العالم كله الآن يؤمن بها ، ليس لأنها صحيحة ، بل لأنها مريحة ، ما من إله ، هذا الشعب اسحقه ، انهب الثروات ، هذه مريحة جداً لأعداء الدين ، ما من إله يحاسب أبداً ، ولا يوم آخر ، ولا آدم ، هناك قرد فقط !!! أنا هذه النظرية صدقتها حديثاً ، لكن صدقتها معكوسة ، كان المحلوق إنساناً فصار قرداً الآن ، صار إنساناً مادياً ، القرد رمز المادية ، لما قال الله عز وجل :

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾

(سورة المائدة الآية : ٦٠)

أنا أتصور المسخ هكذا ، إنسان إله المال ، هذا قرد ، وإنسان إله الجنس ، هذا خنزير . النظرية باطلة كلياً ، لكن لأنها مريحة تمسك العالم بها ، الآن يقول الناس الشاذين ، وللملايين في العالم الغربي : إن الشذوذ أصله في جسم الشاذ ، وهذا أمرٌ مريحٌ جداً .

أنا زرت مدينة بأمريكا ، لوس أنجلوس ، ٧٥% من سكانها شاذون ، صدقوا في يوم بأكمله ما لمحت طفلا ، من أين يأتي طفل !؟

الشذوذ انحراف الفطرة ، الزنا انحراف شرعي ، الله أمر بالزواج ، لكن الزواج رجل مع امرأة ، والزنا رجل مع امرأة ، لكن هذا وفق منهج الله ، هذا بخلاف منهج الله ، أما الشذوذ فتوجّه إلى مكان قدر ، إلى مكان ليس فيه حرث ولا نسل ، الشذوذ تحطيم الشاذ .



لهذا أيها الإخوة ، الشذوذ يخالف فطرة الإنسان ، مع أنه مطروح في العالم الآن آلاف الأفكار أن الشاذ إنسان سويّ ، لكن جيناته شاذة ، لذلك بكل بساطة يقول وزير الصحة البريطاني : " أنا شاذ " ، قالها في مؤتمر صحفي ، وهناك وزير إيطالي قال : " أنا شاذ " ، وسفير أمريكا في بوخارست لما تسلم أوراق اعتماده من الخارجية الأمريكية أقيم له

حفل في الخارجية ، فكان هو حاضر مع شريكه الشاذ ، عوض زوجته ، والآن يعطون في أمريكا ميزات الزوجة للشريك الجنسي ، وفي كندا من كان له شريك جنسي كندي يستحق الجنسية الكندية ، شيء مخيف ، نحن في نعمة كبيرة جداً في بلادنا .

حدثني أخ من أستراليا ، هو رئيس الجالية ، في أثناء وداعي في المطار والله بكى ، قال لي : بلغ إخواني في الشام أن مزابل الشام خير من جنات أستراليا ، قلت : لم ؟ قال لي : احتمال أن ترى ابنك يضع حلقة في أذنه اليمنى بال ٥٠% ، معناه أنه شاذ ، أو أن تكون في اليسرى ، بمعنى آخر ، فهناك شاذ إيجابي ، وشاذ سلبي ، أو في الأذنين معاً أسوأ وأسوأ ، بل إن أستراليا تعد ملجأ للشواذ في العالم ، وفي بلاد في أوربا الشواذ أشخاص محترمون ومديرو شركات ، رؤساء بنوك ، قضاة لهم شريك جنسي ، وفي دول عديدة الآن يعقد عقد زواج مثلي ، والآن بدأت تكثر هذه البلاد ، فأصبح الزواج المثلي مشروعاً ، رأيتم إلى هذا المجتمع البشري !؟ .

لكن المفاجأة التي يصعب أن تصدق أن الرئيس الأمريكي كلنتون قبل نهاية ولايته ألقى قنبلة علمية ، حيث أعلن الخارطة الجينية ، فقال ، سبحانه يا رب ! الحق أبلج ، قال : ليس هناك من علاقة بين الجينات والسلوك ، لا لأسباب دينية ، ولا إسلامية ، ولا غير إسلامية ، قضية علم ، لا علاقة أبداً بين الجينات والسلوك ، هذا انحراف وشذوذ ، لكن يبدو أن الإنسان لو نشأ عليه يتأصل فيه ، ويقول لك : لا أستطيع تركه ، لأنه ألفه ، أما أن يكون في تركيب أصل الإنسان شذوذ فهذا مستحيل ، وألف ألف مستحيل ، إله عظيم ، رحيم ، عادل ، يخلقك شاذاً ويحاسبك ؟ مستحيل .

٢ - مرض الإيدز خرج من رحم هؤلاء الشاذين :

هؤلاء القوم قوم لوط ، لكن ببلاد الغرب لهم تجمعات ، ونوادٍ ، ومنتجعات خاصة بهم ، هم لهم شعار خاص بهم ، ويطالبون بحقوقهم ، وقد أخذوها ، ما معنى ذلك ؟ كما قال عليه الصلاة والسلام ، وهذا الحديث من دلائل نبوة النبي ، قال :

((لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا))

[أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن عمر]

حتى يفتخروا :

((إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن عمر]

بالمناسبة مرض الإيدز من أسبابه الأولى الشذوذ .

((لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ))

والآن المصابون بمرض الإيدز يقتربون من مئة مليون في العالم ، وكل ثلاث

ثوانٍ يموت شخص واحد به ، وحتى الآن ما من علاج له ، ولا مصل مضاد ، وأغرب من ذلك لو دفعنا الملايين ، بل المليارات للبحث عن مصل مضاد فإنه يكفي أن هذا الفيروس يغير شكله ، فإذا غير شكله ذهبت كل هذه الأموال أدراج الرياح ، لا أمل ، وأغرب من ذلك أن هذا الفيروس له دور حضانة ستة أشهر ، فإذا فحص الإنسان دمه ، ومعه مرض الإيدز ، لكن أقل من ستة أشهر لا يظهر في الفحص ، احتمال أن يكون الدم ملوثاً بهذا الفيروس ، والفحص سليم ليس إيجابياً ، هذا بلاء من الله ، لذلك قال تعالى :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾

(سورة الروم الآية : ٤١)



هذه الأمراض التي انتشرت في العالم :

﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾

زلزال تسونامي ، لما جاء في جنوب شرق آسيا ، هذه السواحل من أجمل

تفسير الآيات ٨٠ - ٨٤ ، البعد عن الله

عقاب الله عز وجل يسطره على كل من جاهر بالمعصية

السواحل في العالم ، والشتاء في أيام البرد والتلج في النصف الكرة الشمالي جو لطيف دافئ حار ، مياه ساخنة ، مناظر جميلة ، غابات ، ٤٠٠ ألف طفل معدّ للدعارة هناك ، ولهم صور موزعة في أنحاء أوربا ، يختار السائح الطفل قبل أن يأتي برقم معين ، أين أنتم ؟ العالم وصل إلى فساد يفوق حد الخيال .

رئيس دولة كبرى في شرق آسيا يفتخر في خطابه أنه ما عنده فتاة عذراء ، سياحة الجنس ، نحن نعيش في نعمة كبيرة ، وعندما فساد أيضاً ، لكن نحن نعيش ببقية مروءة ، ببقية طهارة ، ببقية أدب ، ببقية حياة ، ببقية استقامة ، بأسر منضبطة .

على كل هذه المعصية الكبرى بدأها قوم لوط ، الرد العلمي أن الخارطة الجينية تؤكد أنه لا علاقة بين الجينات وبين السلوك ، هذه أنا سميتها قنبلة ألقاها كلنتون قبل انتهاء ولايته ، حيث قال : لا علاقة للجينات بالسلوك .

الزواج هو الطريق الطبيعي لتلبية الشهوة :

هذا شرع الله عز وجل ، الله ينهى عن معصية ، فهل هو ركبنا فينا ؟ الله ركب فيك الشهوة ، هذا صحيح ، لكن الشهوة حيادية ، هذا شيء دقيق جداً ، الله ركب فيك شهوة الأنثى ، تصور أسرة الآن بشاب نظيف ، طاهر ، عفيف ، ما عرف امرأة قبل الزواج ، تزوج زوجة طاهرة وفية عفيفة ، أنجبت له أولادا كالأقمار ، امتلأ البيت سعادة ، تربي الأولاد ، فهذا طبيب ، هذا مهندس ، الوالد محترم ، الوالدة محترمة ، جاءه أصهار ، الزواج كله خير ، والله الزواج قطعة من الجنة ، هذا منهج الله عز وجل ، و الشهوة بنزين ، لكن وضع في المستودع المحكم ، وسال في الأنبوب المحكم ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ، ولد حركة نافعة .

إذا أخذت أهلك في نزهة بسيارتك ، ما الذي يحدث في السيارة ؟ انفجارات ، لكن سائل بمكان محكم ، بأنبوب محكم ، الانفجار بوقت معين ، بزمن معين ، فصار حركة .

أنت بصفحة البنزين ، وصبها على المركبة ، وأعطيتها كبريت ، تحرق المركبة ومن فيها ، البنزين هو هو ، والشهوة هي هي ، تجد أسرة زوجة وفية



، صديقة ، تحبها وتحبك ، تحصنها وتحصنك ، ترعاها وترعاك ، وأنجبت لك أطفالاً كالورود في البيت ، هذا هو الزواج .

مرة صديقي حدثني ، قال لي : طرق بابي الساعة الرابعة صباحاً ، فتحت فلم أجد أحداً ، لما نظرت إلى الأسفل فإذا بكيس يتحرك ، جنين ولد لتوه ، وضعوه أمام بيتي ، وقرعوا الجرس وهربوا ، أنا فكرت ، إنسان يتزوج ، هذه ليست عقد طبعاً ، بعدها كتابة الكتاب ، بعدها عرس ، بعدها يأتي الخبر السار الذي ينتشر في الآفاق ، المرأة حامل ، الحمد لله ، الآن نستعد لهذا المولود ، السرير الخاص ، والألبسة الخاصة ، والعطورات الخاصة ، يستعد لهذا الضيف الجديد أشهراً مديدة ، يولد هذا الجنين ، الاتصالات ، المباركات ، جاءنا صبي أو بنت ، والبنات مقدسة ، تجد الحفل ، والتبريكات ، والهدايا ، والورود ، هذا الزواج المشروع ، أما إذا كان الزنا فإن الطفل يوضع في كيس أمام الباب ، ويترك الباب ويهرب أهل الطفل .



والله في الشام حادثة ، صلى أحدهم الصبح ، وجاء إلى البيت ، وجد خريشة في الحاوية ، صوت ، الفضول دفعه إلى أن ينظر ، هو ظن هرة تنقب في الحاوية ، لا ليست هرة ، هناك كيس يتحرك ، فتحه فإذا طفل مولود لتوه ، أخذه إلى الحاضنة فوراً ، القصة إلى هنا ، وضعه عند الحاضنة ، وكبير ورياه ، أنا أكملتها بخيالي ، وضعه في

الحاضنة حتى تجاوز الخطر ، رياه ، جاء له بمربية ، وأرضعه بحليب قوارير ، وكبير ، أدخله إلى الروضة ، ثم الابتدائي ، ثم الإعدادي ، ثم الثانوي ، أدخله جامعة ، أدخله الطب ، أخذ دكتوراه في الطب ، بعثه إلى أمريكا فحصل على بورد ، زوجه ابنته ، هياً له بيتاً ، هياً له سيارة ، وعيادة ، أين كان ؟ في الحاوية ، هذا المتبنى يسير بسيارته الفارمة ، لقي عمه سيد نعمته ، قال له : الله يرضى عليك أوصلني إلى البيت ، تردد ثانية واحدة ، يكون في هذه الثانية بحق هذا الإنسان مجرماً ، فقط لأنه تردد .

منحك نعمة الإيجاد ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى والرشاد ، الآن نقول لك : تعال واحضر الدرس فقط ، لا أن تقتل نفسك ، الآن الطلبات خفيفة جداً ، فقط اسمع الدرس ، غض بصرك ، اضبط لسانك ، حرر دخلك ، ارحم من حولك ، فقط ، الذي تردد في بذل حياته هبط مقامه في الجنة .

((واني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه))

[السيرة النبوية]

لذلك أيها الإخوة ، قال تعالى :
﴿ وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ

الْفَاحِشَةَ

سبحان الله ! قد يسأل سائل ، لماذا
الشدوذ ؟ سؤال محرج ، أهو أمتع من
المرأة ؟ لا أبداً ، لكن الإنسان إن لم
يكن له هدف في الحياة فإنه يمل الشيء
الطبيعي ، هذا تفسيري لما يجري في
الغرب ، الشيء الطبيعي مُمل ، يبحث



عن شيء جديد ، لأنه لا هدف له ، كل شيء يمل ، فجعلوا مكان الزواج الزنا ، وبعد الزنا الشذوذ ، وبعد الشذوذ مع البهائم أحياناً ، وهناك انحرافات لا يعلمها إلا الله ، سببها أنه إنسان بلا هدف ، وأية شهوة يستوعبها ، ثم يمل منها ، أما المؤمن فهدفه الله عز وجل ، وهذه الشهوة يأخذ منها بالمساحة المتاحة فقط ، فيسعد بأهله ، وتسعد زوجته به .

إذا :

﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

(سورة الأعراف)



مرة ثانية ، الإنسان إذا لم يكن له هدف
في الحياة فهو أقل منزلة من الحيوان .
أذكر قصة مشهورة ، أن بين أوروبا وآسيا
مدينة على الطرف الأول آسيا ،
والطرف الثاني أوروبا ، أنشئ جسر ،
وهو ثاني أطول جسر في العالم ، يعبره
٣٠٠ ألف سيارة يوميا ، فالذي صمم
هذا الجسر المعلق بين قارتين ، وهو
ثاني أطول جسر ، الأطول في سان

فرانسيكو الأطول ، هذا في استنبول ، المهندس الذي صمم هذا الجسر ألقى نفسه من أعلى الجسر ، شيء عجيب ، خامس مهندس في العالم ، دخل فلكي ، شاب وسيم الصورة ، ذهبوا إلى غرفته في الفندق ، كتب ورقة فيها : " نقت كل شيء في الحياة ، فلم أجد له طعماً ، فأردت أن أدوق طعم الموت " ، فالحياة من دون هدف مملة ، فيها سأم .

والله سافرت إلى بلاد كثيرة ، تجد الناس قد ملّوا ، وكل شيء مؤمّن ، ما عندهم مشكلة ، واستراليا قارة بأكملها ١٨ مليون ، قارة بأكملها فيها رفاه يفوق حد الخيال ، وفيها ملل ، وسأم ، كل شيء مؤمّن ، لكن ليس لهم هدف ، وقد تجد شخصاً في بلاد إسلامية يعاني ما يعاني ، يعاني مليون مشكلة ، له هدف ، يقنع إنسانا في الدين فيفرح ، يعمل عملاً صالحاً فيفرح ، حياته متجددة .

﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ

هناك عاصٍ ، وهناك مسرف ، ويبدو أن الإسراف معصية كبيرة جداً .

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

(سورة الأعراف)

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ

طبعاً المؤمن طاهر ، المؤمن نظيف ، علاقاته نظيفة ، سره كجهره ، ظاهره كباطنه ، خلوته كجلوته ، واضح .

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾

(سورة الأعراف)

سيدنا لوط امرأته تعاطفت مع قومه ، لذلك حينما يتعاطف الإنسان مع عاصٍ ، ويتغافل عن معصيته ، بل يثني عليه فكأنه وقع في المعصية نفسها ، فمن غاب عن معصية فأقرها كان كمن شهدها ، ومن شهد معصية فأنكرها كان كمن غاب عنها .



حينما يتعاطف الإنسان مع عاصٍ فكأنه وقع في المعصية نفسها

لو سمعت قصة بكندا أن فلانا تمكن أن يسرق بنكا ، وجمع أموالا طائلة ، وما استطاعت الحكمة أن تكتشفه ، وعاش حياة بحبوحة كبيرة ، قلت : والله دبّر أمره ، فأنت شريكه في هذه الجريمة . فمن غاب عن معصية فأقرها كان كمن شهدا ، ومن شهد منكراً فأنكره كان كمن غاب عنه . هذه المرأة ما لها مصلحة أن يكون زوجها منحرفاً ، ليس في صالحها إطلاقاً ، ومع ذلك لأن امرأتها تعاطفت مع قومها :

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾

وقفة متأنية عند الآية : وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ

هناك سؤال يتوارد كثيراً ، ما معنى قوله تعالى :

﴿ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾

أو بالعكس :

﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾

(سورة النور الآية : ٣)

ما من امرأة لم تزني وزوجها زانٍ ؟ ما معنى الآية ؟ لما يبلغونها أنه كان زير نساء ، ما من مشكلة ، تريد أن تتزوج ، حينما تساهلت في هذه الجريمة التي ارتكبتها وقبّلتها زانياً ، فهي في حكم الزانية . أنت مثلاً تعرف رجلاً أمواله كلها حرام ، وشاركته ، أمواله كلها حرام ؟ ليس ثمة مشكلة ، فأنت مثله ، الحلال ما له قيمة عندك ، ما دام أنك قبّلت أن تشارك سارقاً ، فالسرقة لا قيمة لها عندك إطلاقاً ، أنت وإن لم تسرق ففي حكم السارق ، الفكرة واضحة .

إذاً :

﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾

(سورة الأعراف)



قصص الأقبام السابقة هدفنا أن نتعظ بها ، وما من قوم إلا أهلكهم الله عز وجل بذنوبهم .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(سورة هود)

هلاك الأمم له أسباب :

هلاك الأمم له أسباب ، وأسبابه كثيرة ، من أسبابه :

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

(سورة المائدة الآية : ٧٩)

من أسبابه :

((كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ،

وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه

((الحد))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]



فوضى الجنس ، أحد أسباب هلاك الأمم ، فوضى المال أحد أسباب هلاك الأمم ، عدم التناصح أحد أسباب هلاك الأمم .

فيا أيها الإخوة الكرام ، هذه القصص ليست للمتعة ، لكن للموعظة ، لأن ما من قوم انحرفوا عن منهج الله عز وجل ، وأصروا على هذا الانحراف إلا أهلكهم الله عز وجل ، والأمة الإسلامية لأن أمر الله هان عليها هانت على الله .

خاتمة :

القصة بشكل مختصر :

﴿ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾
أصابتها غبار هذه المعصية أنها رضيت بها .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾

(سورة الأعراف)

والحمد لله رب العالمين